



إيبارشية جنوبي الولايات المتحدة الأمريكية
الرسالة الشهرية للرهبان والراهبات والمكرسين والمكرسات
مايو ٢٠١٧

أحبائي،

المسيح قام! بالحقيقة قام! أتمنى لكم جميعاً عيد قيامة مبارك. وفرصة جديدة للحدأة والتجديد. دعونا نواصل موضوع رسالتنا السابقة، عندما كنا نناقش موضوع السلوك بأمانة كمبتدئين في بداية طريقنا الرهباني، والموت عن العالم، والآن، القيامة، بالنسبة لنا كأباء وأمهات في المسيح. يقول ربنا يسوع المسيح: "إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي، فَلْيُنْكَرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ كُلَّ يَوْمٍ، وَيَتَّبِعْنِي" (لو ٩: ٢٣).

لذلك، إذا كنا نُدعى "أبونا" أو "أمناء"، فهذا يعني أننا نعيش حياة إنكار الذات، "نَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ" (١كو ١٥: ٣١)، ونحيا في حياة الشركة، وفقاً لنذورنا، كبركة للآخرين وأيضاً متقبلين جميع الأشياء التي تأتي علينا كبركات نرضى بها. قيل أن الله يُعَلِّمُ الودعاء طريقه (مز ٢٥: ٩)، وبما أننا قد نذرنا حياتنا لله، فلا نفرح بملابسنا السوداء، ولكن نسعى بجديّة لمعرفة إرادته، لكيما نعيش حياة مرضية له.

كثيراً ما ننسى هذا يا أحبائي... كثيراً ما ننسى هذا الهدف البسيط جداً، والخطير جداً في الوقت نفسه، وبدلاً من ذلك نعيش وفقاً لرغباتنا الخاصة. ربما نتصور أن الطريق الرهباني هو الحياة في زهد أو غير ذلك، فتؤخّر أو نُعطلّ عمل الله في حياتنا. لا ينبغي أن يكون الأمر هكذا.

إذا كنا نسعى إلى الكمال، ينبغي إزالة فكر العدالة والإنصاف تماماً من عقولنا. هل قيل لنا أن نتبع ربنا يسوع المسيح لنحمي سمعتنا، ولنسعى خلف العدالة والكرامة ونيل الاحترام؟! في الواقع، لقد قيل لنا العكس تماماً، أليس كذلك؟ هل يصحّ أن نشعر بالإهانة عند أدنى خرق لما نعتبره حقاً لنا؟ هل يشعر بهذه الإهانة المتواضعون؟ إذا لم تكن هذه الأمور مُسيئة للمتواضع، ونحن نسعى لتحقيق إرادة الله، والله يُعَلِّمُ المتواضع طريقه، إذاً أفلا يجب علينا أن نجاهد للعيش وفقاً لذلك؟

يقول الأنبا سيرايبون: "إذا أردت أن تكون متواضعاً، درّب نفسك على تحمّل ما يأتيك من الآخرين ولا ترضى بالكلمات العديمة النفع وحسب"^(١). كيف سيجعلنا الله كاملين إن كنا نقاوم ونتذمر باستمرار؟ فقط علينا قبول كل الأشياء بشكرٍ، لكي يتمجّد الله فينا، ونحيا حسب غرض دعوتنا.

يقول الأنبا بيمن: "لا تشبع مشيئتك، لكن بالأحرى ذلّل نفسك لأخيك"^(٢)

(١) أقوال الآباء الشيوخ، الأب سيرايبون (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ٢٨١.

(٢) أقوال الآباء الشيوخ، الأب بيمن (بيروت: منشورات النور، ١٩٩٨) ص ٢٤٢.

الأب/ الأم الحقيقيان يُعطيان الحب بسخاء، ولا يسعيان فيما لأنفسهما أبداً.

الأب/ الأم الحقيقيان يفرحون مع الفرحين، ويبكون مع الباكين (يو ١١: ٣١، رو ١٢: ١٥) ... لا يشعران بالغيرة، ولا يتنافسان، ولكن يحتضنا الآخرين بمحبة باذلة، راغبين فيما هو أفضل للآخرين. وإن كان ربنا يسوع المسيح لم يسع لما هو لنفسه، فمن نكون نحن حتى نتبرر في حسدنا أو غضبنا؟!

"الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مَنْ يُؤْمِنُ بِي فَالْأَعْمَالُ الَّتِي أَنَا أَعْمَلُهَا يَعْمَلُهَا هُوَ أَيْضًا، وَيَعْمَلُ أَكْبَرَ مِنْهَا، لِأَنِّي مَاضٍ إِلَى أَبِي"
(يو ١٤: ١٢).

ربما يبدو بطبيعة الحال أنه يجب أن يأخذ الأب/ الأم زمام المبادرة في القيادة، وأنه يجب أن نتبعهم، ولكننا لسنا على تلك الحال. فنحن نترك الأضواء إلى الله وحده، ونعطي المساحة الأكبر لإخوتنا وأولادنا الروحيين. ربما يبدو أنه يجب علينا أن نُقَوِّم الآخرين عندما نراهم يخطئون، ولكن الأمر ليس كذلك معنا. "في كل الأشياء فكر أنك في حاجة إلى التعليم، وسوف تبرهن أنك حكيم طوال حياتك"^(٣)، وربما يبدو أنه ينبغي لنا أن نُطالِبَ بمستوى مُعَيَّن من الاحترام، ولكن الأمر ليس كذلك. لأنه قد قيل: "لا تصبح تلميذاً لمن يمدح نفسه، لئلا تتعلم الكبرياء بدلاً من التواضع"^(٤).

أحياناً، تُعطى لنا الفرصة كل يوم لنشترك قليلاً في آلام المسيح (١ بط ٤: ١٣)، ولنقدم لله هدية الحب المتناهي، كل يوم يعمل الله فينا لينقينا ويمنحنا الكمال، بشرط أن ندعه يفعل ذلك. يجب علينا ألا نضع ثقتنا في مظهرنا الخارجي، لكن بالحري يجب علينا دائماً أن نكون أمناء في القليل (لو ١٦: ١٠)، وأن نخلي ذواتنا من أجل السماح لله بأن يتم مشيئته فينا. إن ندور الطاعة والعفة والفقر الاختياري التي نذرناها ليست فقط للمبتدئ الذي يتم اختياره، ولكنها للأب/ الأم لكيما يحبوا بها. فإن كنا لا نستطيع أن نكون أمناء في هذه النذور، إذن كيف سنكون أمناء في الكثير؟! "أرجوكم يا أحبائي باسم يسوع المسيح أن لا تهملوا خلاصكم، بل ليمزق كل واحد منكم قلبه وليس ثيابه (يونيل ٢: ١٣)، خوفاً من أن نكون قد لبسنا ثوب الرهينة باطلاً، وإننا بذلك نقود أنفسنا إلى الدينونة"^(٥).

ليكن سلام ومحبة ربنا يسوع المسيح مع جميعكم.

والمجد لله إلى الأبد. آمين.

(٣) الميامر النسكية لمار إفرايم السرياني، مترجم من الإنجليزية.

The Syrian, S. (1984). The ascetical homilies of Saint Isaac the Syrian. Boston, Mass: The Holy Transfiguration Monastery.

(٤) القديس مرقس الناسك، (من الفيلوكاليا)، مترجم من الإنجليزية.

St. Mark the Ascetic (1979). On the Spiritual Law. In N. T. Hagiorite, M. O. Corinth, G. Palmer, P. Sherrard & K. Ware (Authors), The Philokalia. London:

Faber and Faber.

(٥) رسائل القديس أنطونيوس، الرسالة الثانية (القاهرة: مؤسسة القديس أنطونيوس – المركز الأثوذكسي للدراسات الآبائية، ٢٠٠٦) ص ٢٦.